الكشف عن محطات مضيئة للحركة الإصلاحية بسيدي بلعباس (1935 – 1954).

من إعداد الأستاذ : بن حويدقة علي جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس

عندما نفى فرحات عباس وجود أمة جزائرية في التاريخ ، رد عليه "ابن باديس" بأنه قد نظر في الماضي و الحاضر و وجد أن الأمــة الجزائرية قد تكونت عبـر العصـور، و أن لهذه الأمة تاريخها و دينها لغتها و ثقافتها ، و أن هذه الأمة ليست فرنسية و لا تستطيع أن تكون فرنسية و لا تريد أن تكون فرنسية (1).

و قد لخص .. "ابن باديس" مبادئ و أهداف الجمعية سنة 1935 ، خلال لقاء داخلي ، فيما يلي: "القرآن إمامنا ، و السنة سبيلنا ، و السلف الصالح قدوتنا ، و خدمة الإسلام و المسلمين و إيصال الخير لجميع سكان الجزائر غايتنا" (2).

و مما لاشك فيه أن شخصية "ابن باديس" و معظم أعضاء الجمعية ، كانت تتوفر على كثير من عناصر القدرة و الذكاء و الطموح لوعي ما تحمله هذه المبادئ من دلالات شرعية و سياسية ، لا يستوعبها إلا السعي و التفاني في تطبيقها على أرض الواقع . فمن البديهي أنه لا يمكن التحدث عن الإصلاح في الإسلام مجردا عن معنى الدولة في الجزائر التي عرفت استعمارا استيطانيا مباشرا جرد الدين من محتواه السياسي و صيره طقوسا عبادية لا تتعدى الفرد .

و قد عمدت الإدارة الاستعمارية إلى المساعدة على إقامة حركة دينية مناهضة لجمعية العلماء المسلمين ، بصفتها التقليدية جاءت بعد اختفاء "جمعية علماء السنة" ، تمثلت في "جمعية الزوايا و رؤساء الطرق الصوفية" (3).

و كانت "جمعية الزوايا" التي انضم لها الكثير من المحافظين و الطبقة الثريـة ، و بعض كبار الموظفين المسلمين (الجزائريين) من القياد و الباشاغات ، محط تركيز الإدارة الفرنسية ، و وجهة ضغطها حتى تجعلها في جانبها كحجة قوية تربح بها دعوى : أن الشعب الجزائـري لا يعـرف طريقـا للمطـالب السياسيــة ، و لا يطــالب أبــدا بحقوق تجعله ضد فرنسا ... و إنما المشوشون من النواب ومن ورائهم جمعية العلماء المسلمين ، هم الذين أقامــوا ضجة المطــالب السياسية ، خاصــة و أن 'ابن باديس" عارض الاندمــاج بشدة و اعتبره خطرا على وجود الكيان الجزائري ، و تحدث عن "فكرته العظيمة" في إحدى الجلسات الحميمية مع تلامذته ، و يعني ذلك أنه كان يخطط لإعلان استقلال الجزائر خلال الحرب العالمية الثانية عندما كانت فرنسا في أحرج الساعات من تاريخها (4).

و الحقيقة أن جمعية العلماء قد أدركت الظرف التاريخي الذي تعيشه الجزائر ، عندما أعلنت بكياسة أن الثقافة الفرنسية عنصر هاما ، "صار من الأمور الضرورية عند جميع الطبقات . فلا يفكر الناس اليوم إلا في الدائرة الفرنسية ، و يعلقون آمالهم على فرنسا مثل سائـر أبنائهـا ، و رغبتهـم الوحيـدة هي أن يكونوا مثل جميع أبناء الراية المثلثة في الحقوق ..."(5)

من هنا يتضح أن موقف العلماء لم يكن سهلا في ظل إجراءات استثنائية مستعدة لضرب "كل من يمس السيادة الفرنسية" . فبحكم انتماءاتهم التاريخية التي جعلتهم يحملون تراكمات حضارية

عميقة ، كان انجذابهم إلى "الأمة" الإسلامية ، استجابة لميراث صنعه الماضي المشترك . فرغم الخصوصيات المحلية ، عملت جمعية العلماء على تقوية الإحساس بالانتماء إلى "جماعة المؤمنين" ، بما أن الإسلام هو الجو الذي تسبح فيه كل مناحي الحياة ، ليس الحيـاة الدينية أو الفكريـة فحسب ، و إنما الحياة الخاصـة ، و الحيـاة الاجتماعيـة و المهنية كذلك. و بالنظر إلى المبادئ التي حملها برنامج جمعية العلماء ، تفطنت الإدارة الاستعمارية إلى أن الإسلام هو أكثر من دين في حدود المعنى الذي يحمله هذا المصطلح في أوروبا بل يشكل "إيديولوجية بالنسبة للمجتمع" (6).

لحماية الشخصية الوطنية من الضياع ، سعى "الاصلاحيون" بكل ما في وسعهم لإيجاد الظروف الملائمة لإنجاح برنامجهم ، بداية : نشر التعليم العربي الحر و إنشاء المؤسسات الاجتماعية ذات التوجه العروبي في منطقة عرفت ضغطا استيطانيا-اسبانيا خاصة و توجها شيوعيا نتيجة الفقر و الحالة الاجتماعية السيئة (7).

و تحت تأثير هذا الانتعاش الثقافي الذي ساهمت في إيجاده دعاية "العلماء" ، اكتشف المجتمع الجزائري الحرمان الفكري الذي كان يعانيه ، فأخذ على عاتقه مسؤولية التكفل بالتعليم العربي الحر الذي قوى العرى بين أفراد الأمة ، و ضمن انتشار ثقافة إسلامية متينة.

و كان هذا المسعى ، مبررا سياسيـا كافيـا ، للوقوف فـي وجـه تهديدات "الفرنسة" و تقدم "التبشير" الذي رافق جيش الاحتلال منذ الأيام الأولي للغزو و شكل أداة (سياسية) طيعة في يد الإدارة الاستعمارية .

و قد ظهر الهدف –السياسي- البعيد للعلماء عندما عملوا على تطهير الإسلام من الشوائب التي علقت به ، و استعادة الكيان الجزائري الذي بقي مدة طويلة خارج التيار التاريخي ، الاجتماعي و السياسي .

و يبدو أن أحد شيوخ "المرابطية" حذر الإدارة من الخطر الذي تشكله جمعية العلماء على النظام العام ، و واصفا دعايتها بالمناهضة للسيادة الفرنسية ، و بالحزبية البعيدة عن الدعوة الدينية (8) .

و كان أعيان الجهة الغربية (من الجزائر) قد نبهوا الحاكم العام "كارد" – Carde إلى "خطورة العلماء على النظام العام ، خاصة و أنهم يلقون خطب سياسية في المساجد الحكومية بحجة الوعظ الديني. كما اقترح أعيان تلمسان على الحكومة العامة طرد الشيخ الإبراهيمي من المدينة و نقله إلى مدينة سطيف (9).

و تحت ضغط الإدارة المحلية "الفاشية" التي كان يترأسها "لوسيانبيلات" – Lucien Bellat و التوتر الاجتماعي الذي ساد منطقة سيدي بلعباس (سنوات 1932 – 1934) ، سارعت الإدارة إلى غلق المدارس الحرة و وضع المدرسين و كل الناشطين في حقل الإصلاح ، تحت الرقابة الأمنية ، مع الحرمان من التنقل إلا برخصة ، و حتى السجن لإضعاف الحركة الإصلاحية و عزلها عن الجماهير ، في الحين الذي سمحت فيه بتأسيس "جمعية دينية" منافسة للإصلاحيين (10) .

في المقابل ، كانت الجماهير الشعبية ، تراقب بصبر في ظروف يسودها سوء الأوضاع الاقتصادية ، و تطالب أحيانا بتحسين حالتها ، و بحقوقها السياسية في إطار "الشرعية" ، في جو غمرته كتابات المؤرخيـن الفرنسيين أمثـال "غوتيي" F. Gautier و "فيكتور بيكي" Victor piquet ، "ايسكار"

G. esquer و "جورج مارسي" G. marçais ، الذين كانوا في خدمة الاستعمار ، حيث جعلوه "يقينا بيولوجيا ، قضى على الأوبئة ، اللصوصية و المجاعة".

كانت هذه "القناعات الفكرية" للمنظرين الفرنسيين ، الذين كانوا في خدمة الاستعمار ، تذكر الجيل الذي عايش الاحتفال المئوي بوضعيته كشعب "منهزم" غير راضي لعدم استفادته من أي إصلاح ، و يستمع بكل اهتمام و حماسة لنداء الإسلام "النضالي" و الوطنية السياسية (11) .

تحت ضغط الأزمة الاقتصادية الخانقة ، و بعد قرار مجلس الدولة منع صدور صحيفة "السنة" و الذي اعتبر بموجبه ، اللغة العربية لغة أجنبية ، أحس الاصطلاحيون بخطر سياسة "الغزو الفكري" التي أصرت الإدارة على مواصلتها ، الأمر الذي دفعهم إلى تطبيق برنامج يقوي "الحصون" اللغوية و الثقافية و الدينية و السياسية التي تحفظ الشخصية العربية الإسلامية للجزائر.

و رغم النداء الذي وجهته صحيفة "الشهاب" منذ 1925 إلى الأعضاء المؤسسين للجمعية ، لم يكن الخطاب الذي تظاهر بالتنزه عن السياسة إلا مناورة ذكية للتمويه عن الإدارة و المرابطين المناهضين لهم ، خاصة بعد تعيين المدعو "بن حلوش مصطفى" على رأس نادي "النجاح" الإصلاحي (12) .

و قد تشجعت "جمعية العلماء" بالجو المليء بالنشاطات الثقافية و السياسية ، فواكبت نضال المنتخبين الذين ألحوا على تطهير صفوف الإدارة "من زارعي القلاقل في الوقت الذي تسعى فيه الحكومة إلى اشتراك مسلمي الجزائر في الممارسة الحرة للسيادة الوطنية" (13) .

و كان "مصطفى بن حلوش" – ممثل اللجنة المحلية للمؤتمر الإسلامي – من المحررين للبيان الذي أثنى على "لجنة إفريقيا الشمالية" برئاسة "ألبار صارو" –A. Sarraut – التي قررت اتخاذ إجراءات صارمة لقمع الدعاية المناهضة لفرنسا "التي يقوم بها الفاشيون في شمال إفريقيا" (14) .

لم يكن تثمين الإجراءات التي تستجيب لتطلعات السكان المسلمين لتمنع "بن حلوش" من أن يؤكد أمام لجنة التحقيق التي قادها "الاغروزليار" – Lagrosillière – نائب "الاماتينيك" – La martinique – أن الجزائريين يحرصون على شخصيتهم و دينهم.

و قد عبر المنتخبون بمدينة سيدي بلعباس عن "الرغبة في وضع عهدتنا تحت تصرف المؤتمر الإسلامي استجابة لنداء جمعية العلماء ، رغم إبداء أحاسيس الولاء و التكثيف من تصريحات الإخلاص اتجاه الإدارة (15) .

بعد فشل وفد المؤتمر الإسلامي في باريس – تحت ضغط فيدرالية رؤساء بلديات القطاع الوهراني – اكتشفت جمعية العلماء أن النضال من أجل القضية الوطنية شامل ، و هو التقدير الذي دفعها إلى إعادة النظر في علاقتها مع الحكومة ، و تغيير أساليب العمل بمنطقة سيطرت عليها المنظمات "الفاشية" ، التي تهدد بقتل و اختطاف شخصيات من التجمع الشعبي المساند للجبهة الشعبية (16) .

في هذه الأثناء ، كان الشباب الجزائري قد استوعب مفهوم الأمة الجزائرية الذي نشرته "جمعية الشباب الأدبية للمسلمين" ، و أصبح الكثير من السكان الجزائريين بالمنطقة الذين قبلوا مبررات الوطنيين ، يدركون الانسداد الذي تسببت فيه سياسة المؤتمر (17) . و أمام "الدعاية الجنونية التي شنتها أجهزة الأمن و مخبروها" طلبت جمعية العلماء (الفرع المحلي) من الجزائريين أن يعتمدوا على

أنفسهم ، بعدما اقتنعت بأن الجبهة الشعبية ليست قوية "كما كنا نتخيل ، و أن فيوليت يعمل للصالح الفرنسي".

و ردا على تحديات الجمعيات الأوروبية ، بعثت فروع جمعية العلماء للجهة الغربية ، التي اجتمعت بسيدي بلعباس ، برسالة تنديد وقعها منسق الاجتماع "مصطفى بن حلوش" إلى كل من "شوتون" –Chautemps- رئيس المجلس الفرنسي موريس فيوليت و ألبار صارو وزراء الدولة.

و اجتمع ممثلو "التجمع الشعبي" و "المؤتمر الإسلامي" للقطاع الوهراني لأول مرة بحضور البشير الإبراهيمي للمطالبة بتطبيق القوانين الفرنسية على الأهالي (18) .

رغم الانتقادات الكثيرة التي وجهت إلى العلماء حول قضية "الانتماء" ، لم يتسرب اليأس إلى عقولهم من الليبرالية السياسية للجمهورية الفرنسية ، حيث بنوا إستراتيجيتهم النضالية على عقيدة "أصيلة و واضحة" تفرق بين الجنسية القومية –nationalité ethnique- و الجنسية السياسية – nationalité politique- التي شكلت واجهة تتماشى مع الظروف المفروضة (19) .

عاش الفرع المحلي لجمعية العلماء ، تحت ضغط الإدارة الشعبية ، يقترب أكثر من طروحات حزب الشعب الجزائري –PPA- و يدافع عن خصوصيات المجتمع و وحدة وطنه و يبتهج لكل خطاب يحمل كلمات الإسلام ، العروبة ، الوطن و الأمة التي تشير إلى أصالة "الأهالي" (20) .

و كان هذا التطور "القومي" للفرع المحلي و حتى لـ "ابن باديس" نفسه قد أزعج البعض في رئاسة الجمعية. و كان حزم هذا الأخير قد تفوق على الاعتدال و سياسة الحلول الوسطى التي اتسم بها "العقبي" ، الذي عاب عليه إعطاء الطابع السياسي أكثر لنشاط الجمعية ، و عدم إثبات تأييده لفرنسا ، بالنظر إلى عنادها في الصراع مع الإدارة ، بدا "الاصطلاحيون" للرأي العام الجزائري في الوقت نفسه كجند للإسلام و حماة للعروبة في الجزائر (21) .

في الفترة الواقعة ما بين (1925-1940) ، ساهم النشاط الإصلاحي في تشكيل العقلية الدينية و الثقافية "للمجموعة الإسلامية" ، بتغيير ميزان القوى المعنوي . و كانت المرابطية قد تزعزعت و أجبرت على التخلي عن إمبراطوريتها العتيقة ، و بذلك تحررت العقول من التشبث بالأوهام و "الإيمان الخادع و المعطل للرغبة في التغيير". في الميدان السياسي تشبع الرأي العام الجزائري بروح وطنية قوية ، أكدت الانتماء العربي الإسلامي لبلد (الجزائر) كان ممزقا في خياراته المستقبلية ، و أوقفت مسار الفرنسة الذي كان يبدو لا مفر منه (22) .

إذا كانت جمعية العلماء ، لم تدعوا إلى استعمال الوسائل العنيفة ، من أجل انتزاع الحرية فانه غير صحيح القول بأن "الإصلاحيين" لم يطالبوا بالاستقلال . فقد تخوف خصومها السياسيين (معمرون ، منتخبون ، يساريون) من التصريح الذي نشرته صحيفة "الشهاب" في جوان 1936 ، و الذي أثار جدلا تطلب توضيحا يستدعي تأملا سياسيا يفرض نفسه على المجتمع "الأهلي" خاصة الشباب منه. و هذا يعني أن بالنسبة لزعماء "الجزائر مسلمة" أصبح من المستعجل إجراء تغيير جذري على النظام السياسي للبلاد . لم تكن الحكومة المركزية (بباريس) مستعدة على الإجابة لهذه النداءات المتكررة و لا الحكومة العامة (بالجزائر) التي التفتت إلى الأعيان و الطبقات التقليدية لإشراكهم في قضايا لا تمس بالنظام القائم أو ليكونوا جزءا من "الزخرف" أثناء الاحتفالات الرسمية (23) .

بالنظر إلى أهمية الأحداث التي غمرت الساحة ، كانت سياسة "الخبز" التي نادى بها الحزب الشيوعي تبدو "تافهة" بالنسبة لفرع جمعية العلماء لأنها "تعتم على التطلعات المشروعة للشعب الجزائري". زيادة على ذلك ، كان السياسيون الجزائريون –خاصة المعتدلون منهم- يلاحظون تصاعد القومية الفرنسية في وجه القومية الألمانية ، و يسجلون بمرارة عدم انسجام الحلفاء و على رأسهم الأمريكان ، مع الدعاية لصالح تقرير مصير الشعوب . أمام خطورة الظروف ، لم يكترث فرع الجمعية بالصراع الحاد الذي نشب بين شخصيات حزبية بسيدي بلعباس أمثال "بن شيحة بوسيف" مستشار في المندوبيات المالية و "لالوت محمد" منتخب عن الحزب الراديكالي الاشتراكي ، و ذلك من أجل الزعامة و الظفر بمقاليد التسيير في مدينة كانت تبحث عن المكانة التي تليق بحجمها بعد اختفاء نظام "فيشي" و تأسيس "اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني" بقيادة الجنرال "ديغول" (24) .

في هذه الفترة وقعت لقاءات كثيرة بين الجزائريين (الناطقين باسم البيان) و الفرنسيين على مستوى لجان محلية لإحداث التغيير الذي يضمن "للأهالي" الكرامة ، الأمن و الحرية ، إلا أن الحكومة العامة لم تستوعب المرارة و اليأس من نظام الامتيازات ، و الإحساس بفشل سياسة الإدماج ، و سجل العلماء و فرات عباس أن السعي إلى إحداث "الثورة عن طريق القانون كان غريبا تماما عن أذهان محاورينا" (25) ، على المستوى المحلي دائما ، جرى حوار سياسي ساخن ، شارك فيه "غاستون ليسبون" رئيس الفرع المحلي للحزب الراديكالي ، "أنداليسيو سالفادور" من الحزب الشيوعي ، و أعضاء من جمعية العلماء (خاصة بعد زيارة البشير الإبراهيمي إلى المدينة) من أجل إسقاط المجلس البلدي "الفاشي" و تعويضه بمندوبية خاصة ، "تستجيب لتطلعات الجماهير في وقت خيمت عليه الأزمة الاقتصادية و التوتر الاجتماعي". بالتوازي مع الحوار الحزبي، دفعت جمعية العلماء (المحلية) إلى جانب حزب الشعب الجزائري ، بمجموعة من الشباب إلى القيام بحملات دعائية لتوعية الجماهير الشعبية ، بضرورة الانتفاضة ضد الاستعمار . بالإضافة إلى الدعاية ، سعت هذه المجموعة التي ترددت على مدارس الجمعية إلى إيجاد تنظيم صلب يكفل لها التكوين السياسي و يسهل التغلغل في الجمعيات المختلفة مثل الكشافة و النوادي الرياضية و الثقافية التي شكلت قواعد خلفية يحتمي بها المناضلون ضد ملاحقات أجهزة الشرطة.

شكل تراجع "ديغول" الذي كان يمثل "المقاومة الفرنسية" عن تطبيق مبادئ الحرية التي يؤمن بها أمام المعارضة المتنامية التي تزعمها دعاة "الجزائر فرنسية" - خاصة في القطاع الوهراني - و التي جعلته يغلق مجال الحوار ، و كذا أمرية مارس 1944 ، و هي الرد الرسمي للحكومة الفرنسية الذي أفشل نداء المنتخبين المقتنعين بسياسة "المشاركة" ، شكل منعطفا بارزا بالنسبة للكثير من أعضاء جمعية العلماء بسيدي بلعباس ، الذين تصلبوا في مواقفهم أمام عجز الإدارة على إرجاع الحالة العامة في البلاد إلى طبيعتها العادية (26).

و قد سجلت الإدارة المحلية – بدهشة – تنامي نفوذ "حزب الشعب الجزائري" و العلماء في أوساط "جيل جديد من الشباب المتعصب يدعو إلى الاستقلال".

نتيجة الإخفاقات المتكررة ، و خيبات الأمل التي أصابت المجتمع الجزائري ، انجذبت الطبقة الشبانية المهمشة إلى خطابات حزب الشعب و طرح جمعية العلماء ، و أصبحت أحياء الضواحي في سيدي بلعباس و المستوطنات المحيطة بها ، تحتضن الاحتجاج على النظام القائم ، و تنقل الكلمة النضالية إلى الدواوير و حتى إلى مركز المدينة "الذي استحوذ على الثروة و السلطة" (27) .

و رغم عمليات القمع و التعتيم على الصحافة الوطنية ، استطاع المناضلون بمبادرات محلية أن يبعثوا روح المقاومة في نفوس الجماهير . و في هذه الأثناء تجمع الوطنيون في منظمة الكشافة الإسلامية الجزائرية S.M.A التي حملت قائمة من الرمزيات الوطنية مثل : الوطن ، الأمة ، الجهاد و الاستقلال ، لتؤكد على رفضها للمساومات السياسية ، و ترسخ مفهوم التضحية ، مما دفع بالشرطة إلى اتهامهم بالتطرف و بأنهم يخوضون "حملة معادية لفرنسا" (28) .

و في هذا الصدد اكتشفت مصالح الأمن الاختراق الذي قام به "العلماء" للجمعيات الرياضية و الثقافية بمنطقة سيدي بلعباس قبل الحرب العالمية (1939) ، حيث اعتبرت "نادي النجاح" الذي كان يترأسه "مصطفى بن حلوش" "مقرا يحتضن لقاءات مشبوهة تطرح قضايا التحرر من الوضع المزري و مصير الوطن و حتى الاستقلال".

و انطلاقا من قناعتها بأهداف الاستعمار "الذي يسعى إلى تحطيم الإسلام و ليس التعاون معه" ، تقاسمت جمعية العلماء الأعباء مع حزب الشعب لتقوية العقيدة و التربية الدينية لدى منخرطي الفرع الكشفي المحلي لمواجهة الجمعيات الكشفية الأخرى ، مثل : "التجمع الكشفي الإسرائيلي" الذي كان يضم فوجين يحرصان على استكمال ما تقوم به العائلات و المجمع اليهودي –le consistoire- في الاحتفاظ على الهوية و الثقافة اليهوديتين (29) .

و كذلك لمواجهة فرع "الكشافة الفرنسية" الذي لم يكن بريئا بما يقوم به من نشاطات تربوية و أعمال خيرية ، حيث كان على اتصال برجال الكنيسة و "الآباء البيض" كما تدل التقارير التي كتبت حول ما قام به هذا الأخير في سعيه إلى تأطير نشاطات اليتامى بمنطقة القبائل.

زيادة على المقر السياسي (الكشفي أو الحزبي) ، شكلت الثلاثية المتكونة من : مقهى البوسفور ، نادي النجاح و المدرسة –Medersa- الغير بعيدة عن ساحة "الطحطاحة" في الحي العربي "القرابة" ، الوسيط الفعال لنقل كلمة النضال السرية إلى شرائح المجتمع البسيطة و أصحاب المهن الصغيرة.

رغم قهر "الحاكم" –l'administrateur- و "القايد" –le caïd- الذي كلف بالرقابة و التحقيق حول اتجاهات "المشبوهين" تمكن الخطباء الذين تنكروا في صفة مداح ، أو نادل مقهى أو بائع متجول ، من إيصال كلمات : الوطن و الاستقلال التي تحرك المشاعر الوطنية و تذكر الحاضرين بواجب استرجاع الحقوق المغتصبة (30)

و كان الشباب يتميز بالإقدام و النشاط من أجل استعادة الكرامة و الشخصية الجزائرية ، موجها عمله بروح وطنية اكتسبها في المدرسة الإصلاحية لجمعية العلماء و النادي القومي لحزب الشعب الجزائري (31) .

و يبدو من خلال التقارير أن الأوساط الإدماجية و الشخصيات المرابطية بسيدي بلعباس ، كانت تخشى من "أن تستجيب الجماهير" ، الجاهلة و المتعصبة ، و التي لم نتعود على ممارسة حقوقها المدنية ، إلى الرمزية التي صنعتها الأحزاب الوطنية ، لذلك لجأت الإدارة إلى كل الأساليب و المناورات لإخراج الشباب من السرية "لأن نشاطهم يبقى مخيفا عندما يمارس في الخفاء و التستر بالأنشطة الشرعية" (32) .

في ظل الحملة القمعية التي رافقت اكتشاف "المنظمة الخاصة" ، أجهدت جمعية العلماء كاهلها لإيجاد هياكل لمساعدة ضحايا الممارسات التعسفية ، حيث عرفت نشاطات "لجنة مساندة ضحايا القمع" اتساعا معتبرا بعد تكوين لجان محلية في غالبية مدن القطاع الوهراني .

كما كان الفرع المحلي لجمعية العلماء وراء الحملة الداعية إلى مقاطعة الانتخابات –إلى جانب حزب الشعب- للرد على "فيدرالية رؤساء بلديات القطاع الوهراني" التي أوصت في اجتماعها ليوم 1951/05/30 ، بممارسة ضغوطات على الناخبين و توجيه انتخابهم لصالح "المرشحين الإداريين الذين أخلصوا في الدفاع عن السيادة الفرنسية".

كما انسجم الشيخ "أحمد حماني" عضو جمعية العلماء مع التيار الشعبي الذي طالب بالتشدد في التعامل مع الإدارة ، حيث تزعم التجمعات التي نظمتها "الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية و احترامها" بمدينة سيدي بلعباس (33) .

و اعتبرت التقارير أن التعليم الإسلامي الحر الذي تقدمه "المدرسات" –Medersas- و المدارس القرآنية الموجودة في القطاع الوهراني "تسيرها شخصيات ذات حضور سياسي كبير تستعمل هذه المؤسسات لنشر الدعاية الوطنية . و سواء كانت إصلاحية أم فروعا تابعة للأحزاب السياسية ، فان "التوجه الانفصالي و دعوة معلميها إلى كراهية الأجانب و العودة إلى منابع الدين الذي يأمر بالجهاد و العمل من أجل الاستقلال الوطني ، كانت واضحة من خلال أنشطتها" (34) .

و قد أجبر الفرع المحلي لجمعية العلماء على الخضوع للتيار الشعبي الذي لم يقبل تخاذله في الوقوف إلى جانب المناضلين الذين تعرضوا للقمع و التعسف ، رغم التوصيات التي أصدرها المؤتمر الوطني البعيد عن الأوضاع المحلية.

في هذا السياق ، سجلت تقارير الشرطة سعي القيادة الجهوية لجمعية العلماء إلى الانسجام مع التيار الجماهيري ، حيث جاء المدعو "مصباح" أستاذ في مدرسة مدينة معسكر إلى سيدي بلعباس لتنصيب اللجنة المحلية الجديدة ، و ليذكر أتباع الجمعية "أن الجزائر ستصبح حرة مستقلة بمساعدتكم ، أحبت فرنسا الاستعمارية ذلك أم كرهت ، لأنها تتوفر الآن على رجال قادرين على تسييرها" (35) .

و أكد "القباطي" محمد" رئيس المدرسة –Medersa- المحلية على هذا التوجه ، عندما أعلن "أن الوقت قد حان ليستيقظ المسلمون و يكافحوا كما فعلت البلدان الشقيقة في الشرق الأوسط" ، و ذلك أمام المدعو "عباس بن السنوسي" الذي جاء من العاصمة ليقف على الحالة النفسية التي وصلت إليها الجماهير (36) .

في هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الحركة الوطنية ، شرع مناضلو "جبهة التحرير الوطني" في جمع المال و السلاح لتكوين الخلايا الفدائية الأولى.

كما بادر أتباع جمعية العلماء الذين اقتنعوا بفكرة العمل المسلح لتحقيق الاستقلال إلى تأسيس مجموعات فدائية في المنطقة بعد الانشقاق الذي حدث في صفوف الجمعية خلال شهر ديسمبر 1954 (37) .

الإحالات

(1)- الشهاب ، عدد أبريل 1936 . أنظر كذلك : شارل أوندرى جوليان ، أفريقيا الشمالية تسير ، مترجم ، ص : 114 .

(2)- سجل اجتماعات جمعية العلماء ، ص : 76 . نقلا عن تقرير للشرطة بتاريخ أبريل 1935 رقم 169 ، وثائق ولاية قسنطينة .

(3)- انعقد مؤتمر باسم "مؤتمر الزوايا و رؤساء الطرق الصوفية" بتاريخ 07-03-1937 الموافق لـ 26 ذي القعدة 1355 هـ ، أنظر جريدة النجاح ، 08-03-1937 .

(4)- شهادات شخصية لتلاميذ ابن باديس ، ذكرها أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1945) ، الجزء الثالث ، ط 3 ، م-و-ك ، الجزائر 1986 ، ص ص : 85-86 .

(5)- أوندري نوشي ، تاريخ الوطنية الجزائرية (1914-1954) ، ص : 66 .

(6)- Pierre bourdieu , sociologie de l'Algérie , paris , P.U.F , 1936 , P : 100 .

(7)- Revue d'histoire moderne et contemporaine , les répercussions de la guerre d'Espagne en oranie (1936-1939) , juillet – septembre 1975 , PP : 50-52 .

(8)- Desparmet , in l'Afrique française de Mai 1933 , P : 19

(9)- Rapport de quelques notables de Tlemcen du 26-05-1933 au G.G.A , carton 4062 , A.W.O .

(10)- Rapport de police du 27-04-1933 , carton 4062 , A.W.O

كان الارتباك ظاهرا على قرارات الإدارة بمنطقة سيدي بلعباس ، حيث منحت رخصة للمدعو "الاليمي محمد" تسمح له بفتح مدرسة قرآنية في 08-11-1933 ، بعدما برأته من تهمة التعامل مع الحزب الشيوعي ، لتغلقها سبعة أشهر بعد ذلك في أفريل 1933.

(11)- M-Kaddache , histoire du nationalisme algérien , tome I , P : 228 .

(12)- Rapport de police du 24-11-1934 , N 10/40 , carton F2 275 , A.W.O .

(13)- Oran républicain du 16-03-1937 , N 26 .

(14)- Oran républicain du 21-11-1937 , N 274 .

(15)- Rapport du s/préfet du 27-08-1937 , N 8802 , carton 4062 , A.W.O .

لالوت محمد ، الحاج علال ، دراز تابت ، حساني محمد ، :أعلن تجمع "فيدرالية المنتخبين" في بيان وقعه كلا من مستشارين في المجلس البلدي ، بالإضافة إلى مولاي الشيخ ، مستشار عام ، عن رغبتهم في الاستقالة استجابة لنداء جمعية العلماء .

(16)- Oran républicain du 18-03-1937 , N 28 .

(17)- Rapport de police du 19-03-1938 , N 107 , carton 4477 , A.W.O .

(18)- Oran républicain du 31-01-1938 , N 345 .

(19)- Ali Merad , op cit , P : 340 . voir aussi l'Afrique française de novembre 1936 .

(20)- Rapport du centre d'information et d'études (C.I.E) du 01-05-1937 , N 46 , carton BP 201 , A.W.O .

(21)- la défense du 07-06-1938 .

(22)- Charles Roberd Ageron , histoire de l'Algérie contemporaine , (1871-1954) , tome II , P.U.F , 1979 , P : 348 .

(23)- Rapport de police du 19-05-1943 , N 8016 , carton 4477 , A.W.O .

(24)- Rapport de police du 10-03-1944 , carton 2260 , A.W.O

(25)- Rapport de police du 22-06-1943 , carton 4477 , A.W.O

(26)- Rapport du C.I.E du 17-12-1944 , N 177/c , carton 72 , archives d'Aix en Provence .

(27)- Rapport de police du 15-06-1945 , carton 4477 , A.W.O

(28)- Rapport de police du 16-06-1946 , carton 4477 , A.W.O

(29)- Rapport du C.I.E du 28-01-1946 , carton 4477 , A.W.O

(30)- Rapport de police du 26-10-1946 , N 1066 , carton 14 , Archives d'Aix en Provence .

(31)- Rapport du service de liaison nord Africain (S.L.N.A) de novembre 1951 , N 803 , carton BP 201 , A.W.O

(32)- Rapport de police du 23-01-1952 , N 00833 , carton 6987 , A.W.O .

(33)- Rapport du S.L.N.A de septembre 1951 , N 673 , carton BP 201 , A.W.O .

انعقد مؤتمر جمعية العلماء بمدينة الجزائر ما بين 30-09 و 1 و 3-10-1951 و شارك فيه كلا من محمدي سيد
أحمد و ميموني الحاج بن عبد الله عن الفرع المحلي لسيدي بلعباس .

(34)- Rapport de police du 28-08-1954 , N 824 , carton 6987 , A.W.O .

(35)- Rapport de police du 02-09-1954 , N 832 , carton 6987 , A.W.O .

(36)- Rapport de police du 02-12-1955 , N 2604 , carton 6987 , A.W.O .

أشار تقرير الشرطة المؤرخ في 05-07-1954 رقم 183 علبة 6987 محفوظات ولاية وهران أن "القباطي محمد"
و "لاغير عبد القادر" من فرع جمعية العلماء ، قاما بجمع الأموال منذ جويلية 1954 .

(37) Rapport de police du 02. 11.1955, N° 820, carton 6987 , A.W.O .